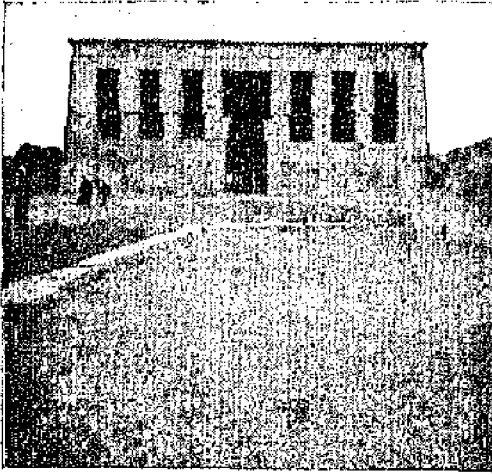


معبد دندره

كان يقوم هذا المعبد في العصور القديمة في مدينة يطلق عليها في الوثائق الرسمية اسم Ant ، لكنّها كانت تعرف أيضاً لدى عامة الناس باسم Tantarer ، وهو ما اشتق منه الاسم الأغريقي Tentyra والاسم الحديث دندره . وقد كانت هذه المدينة عاصمة المديرية السادسة في مصر العليا ، تحدها من الشمال مديرية Diospolis Parva ومن الجنوب مديرية طيبة . وقد كانت لدندرة إلهة حامية تدعى هاتور ، كانت تتمتع بمكانة عظيمة في مصر القديمة . وتمثل الأساطير القديمة هذه الآلهة أحياناً في شكل بقرة سماوية ، وأحياناً في شكل الآلهة التي تشرف على ميلاد الأطفال ، وأحياناً في شكل الآلهة الفاتنة من بلاد بنت . أما في دندرة فإنها تظهر في شكل آلهة الحب الأسمى والجمال والنور والبشر ، ويرمز إليها عادة بامرأة تحمل فوق رأسها قرني بقرة يضمن بينهما قرص الشمس .

ويرجع أقدم معابد هذه الآلهة في دندرة إلى عهد الملك خوفو باني الهرم الأكبر ، ومن ثم أخذ الفراعنة المختلفون يتعهدون هذا المعبد بالترميم والإصلاح كلما اقتضى الأمر ذلك ، إلى أن مال عليه الدهر وتهدم في أواخر أيام البطالسة ، وأصبح غير خليق بعبادة هذه الآلهة المحبوبة . ولما كان البطالسة منذ انتعاش الروح القومية بين المصريين ، نتيجة للدور الذي لعبوه في معركة رفح في عام ٢١٧ ق.م ، قد درجوا على اتباع سياسة جديدة إزاء المصريين وأخذوا يستردون عطفهم بشقي الطرق التي كان من بينها تشييد معابد كبرى للآلهة الوطنية ، فإن أحد البطالسة الأواخر ، ولعله كان بطليموس الثامن (سوتر الثاني) ، أمر في أواخر القرن الثاني ق.م . بازاحة بناء المعبد القديم وإقامة معبد آخر جديد على أنقاضه ، لم يتم إلا حوالي منتصف القرن الأول بعد الميلاد ، في عهد أباطرة الرومان . ويعتبر هذا المعبد من أروع ما أخرجه

فن المعمار فى عصر البطالسة والرومان وإن كان يشارك تلك المعابد فى الخواص المميزة لها .



معبد دندرة

يقوم هذا المعبد اليوم على حافة الصحراء الغربية فى مواجهة قنا ويمتد حول البناء كله جدار خارجى ، يتوسطه فى الناحية الشمالية باب المعبد ، الذى إذا ما اجتزناه وجدنا أنفسنا فى فناء لاسقف له يقع وراءه بهو الأعمدة الكبير وهو عبارة

عن قاعة كبرى يحمل سقفها أربعة وعشرين عموداً ضخماً ، رتبته فى أربع صفوف يكون الصف الأول منها حائط البهو الخارجى ، إذ يربط أعمدة هذا الصف بعضها ببعض حوائط قصيرة تشبه الستائر ، وتصل إلى نحو منتصف ارتفاع الأعمدة التى تحمل إفريزاً ضخماً يزينه قرص شمس ذو جناحين ، ويحمل نقشاً يثبتنا بأن بناء البهو قد تم فى العام العشرين من حكم الامبراطور تيبيريوس ، وبأن أهالى المديرية وعاصمتها أهدهوا باسم الامبراطور إلى الآلهة Aphrodite (أى هاتور) وأقربانها من الآلهة . ويبلغ طول الأعمدة نحواً من خمسين قدماً ، ومحيطها خمسة وثلاثين قدماً ، وتعلوها رموس أعمدة من النوع المعروف برموس أعمدة هاتور ، كل رأس منها عبارة عن مكعب ضخماً يزين كل وجه من وجوهه الأربعة وجه سيدة لها أذنان بقرة . ويزين الأعمدة والجدران مناظر دينية ونقوش ورموز مرتبة درجات الواحدة فوق الأخرى ، فى كثرة جعلتها تزاحم بعضها بعضاً ، لكن المناظر لا تخلو من الطرافة إذ أننا نقيى فيها زيارة ملكية إلى المعبد وإهداء ضيعات إلى الآلهة . أما السقف فكله مزين بمناظر فلكية .

ويؤدى البهو الكبير إلى بهو أعمدة صغيرة يحمل سقفه ستة أعمدة رءوسها من النوع المعروف برءوس الزهور أو الرءوس المركبة (foliage or composite) تشبه كل رأس منها ناقوسا يزين جوانبه عدد من الأزهار وأوراق نباتات مختلفة ، رتب في أوضاع متباينة ، ويقوم فوق الناقوس بمثابة إفريز رأس من رءوس هاتور التي سبق وصفها . ويزين أعمدة هذا البهو وجدرانه مناظر تتصل ببناء المعبد ، فعلى أحد جانبي البهو نرى الملك وقد خرج من قصره يشق الأرض ويصنع الطوب ويضع الحجر الأول ويهدى المعبد إلى الإلهة ، وأخيراً يفتتح الشعائر الدينية بحرق البخور . وعلى الجانب الآخر نرى مشهد إهداء ثان ، يقوم به الملك بعد وصوله من القصر في موكب ملكي حافل ، فنراه يقدم هدايا من المعادن الثمينة إلى الإلهة وينثر العطور على المعبد ويهدى البناء إلى هاتور وحورس . ويتصل بكل جانب من جانبي هذا البهو ثلاث غرف كانت تستخدم لتخزين حاجات المعبد والنذور .

ويؤدى هذا البهو إلى قاعتين صغيرتين إحداهما وراء الأخرى تسمى الأولى « قاعة المذبح » حيث كانت تقدم القرابين ، ويغطي جدرانها مناظر تمثل الملك وهو يقدم القرابين إلى هاتور وابنتها . وإلى يمين هذه القاعة ويسارها توجد السلالم التي تصل إلى سطح المعبد . وتسمى القاعة الثانية « قاعة التسع المقدسة » ؛ وهي لا تزيد عن ممر بسيط يغطي جدرانه مناظر تشير إلى أن هاتور ، وقد تجسم فيها كل الإلهة الأخرى ، أصبحت وحدها منبع الحياة وإلى جانبي كل من هاتين القاعتين توجد غرفتان . وتؤدى القاعة الثانية إلى قدس الأقداس ، حيث كانت تحفظ المركب المقدسة ويوضع تمثال الإلهة الذي لا يدانيه تمثال آخر في قداسته . وكانت تبقى هذه الغرفة مغلقة محتومة لا تكسر أختامها ولا يفتح بابها إلا في الأعياد الكبرى ، ولا يسمح بدخولها إلا للكهنة الأكبر والفرعون الذي كان يخول له مركزه أن يقوم بمهام الكهنة الأكبر في أى معبد . وترينا مناظر هذه الغرفة زيارة الفرعون للإلهة .

ويحيط بهذه القاعة المقدسة ممر يؤدي إلى إحدى عشرة غرفة صغيرة بجانب بعضها بعضاً ، كان لكل منها اسم خاص مثل « غرفة اللهب » و « عرش رع » و « اتحاد الوجهين » و « غرفة الميلاد » و « غرفة البعث » الخ لكنه قد أصبح من المتعذر علينا الآن استبانة الغرض من هذه الغرف فقد فقدت أسماؤها الدلالة التي توحى بها .

وتزين جدران السلام التي تؤدي إلى سطح المعبد مناظر موكب الإلهة في غدوه إلى السطح ورواحه ، عندما كانت تحمل في جمع حاشد تحفها مظاهر العظمة والجلال ، لتلقى نظرة على ممتلكاتها العظيمة . فترى الفرعون على رأس صف طويل من السكينة ؛ كما نرى رمزاً لقدس الأقداس محمولا على أعناق ثمانية من عمالق القساوسة . وعند مسافات معينة كان الموكب يقف ويقوم الفرعون بحرق البخور أمام تمثال الإلهة . وسطح المعبد منبسط وعلى ارتفاعين ، لأن البهو الكبير أعلى من بقية أجزاء المعبد الأخرى ، التي يقوم على سطحها عدد من الغرف المقدسة الصغيرة ، أكبرها في الركن الجنوبي الغربي . ومن أهم خواص هذا المعبد كثرة عدد الغرف السرية أو الأقبية ، التي بنيت في سمك الجدران تحت مستوى الأرض ، وغطيت مداخلها بألواح صخرية متحركة . وكل هذه الأقبية منقوشة وملونة . وكان بعضها لإقامة الشعائر السرية للإلهة ، والبعض الآخر لحفظ كنوز المعبد التي لا بد أنها كانت ذات قيمة كبرى . ويزين جدران المعبد من الخارج أشكال منحوتة تمثل عدداً من الآلهة ومناظر عبادتهم ، تميز بينها كليبواترة في شكل الإلهة إيزيس وابنها قيصرين يتعبدان إلى الآلهة ، وإلى الجنوب الغربي من المعبد تقوم البحيرة المقدسة وهي مستطيلة متسعة في كل ركن من أركانها سلام تؤدي إلى صفحة الماء .

إن هذا المعبد كغيره من معابد البطالسة والرومان ، رغم تأخر عهدها وإنشائها بعد زوال دولة الفراعنة وانتشار الفن الأغريقي في مصر ، لا يختلف

فى جواهره عن معابد القراعنة ، ولا نلمس فيه أى أثر للفن الأفرىقى فهو
مصرى خالص فى تخطيطه وعمارته ونقوشه . فالجدران القصيرة التى تشبه
الستائر فى الهو الكبير ، لم تكن بدعة استحدثها البطالسة ، فهى معروفة فى
معابد الدولة الحديثة ، فى الكرنك ومدينة هابو وكذلك فى معابد الأسرة
الثلاثين فى مدينة هابو وفيله . كما أن رؤوس الأعمدة المركبة — فى اعتقادى
على الأقل — مصرية صميمة وثمرّة النهضة الفنية التى ظهرت فى مصر فى العصر
الصاوى ، أى فى القرنين السابع والسادس ق . م . وقد كانت تلك النهضة
ترمى إلى احياء التقاليد القديمة التى أخرجت الكثير من آيات الفن المصرى .
نحن نعرف أن عمود البردى وعمود اللوتس ، يرجعان فى أصلهما إلى القوائم
البداية التى كان يحمل عليها السقف وتزين رؤوسها بالأزهار ؛ لكن لما كان
الفنان فى العصر الصاوى يفوق بطبيعة الحال فنان الدولة القديمة فى التقدم
ورقة الشعور ، فإنه لم يرجع القهقرى إلى تلك القوائم البدائية ، إنما اتخذ نواة
عموده من عامود البردى المزدهر (Campaniform) ذى الرأس المفتوح ،
وزينه كما فعل أجداده من قبل بياقة من الزهور . ولكنها كانت تتألف من
عدة أنواع بدلا من نوع واحد مثل اللوتس أو البردى كما فعل فنانو الدولة
القديمة . إن الأنواع المتعددة المعقدة لرؤوس العامود الجديد لا يمكن أن تكون
نتيجة لحظّة واحدة ، بل لابد أنها كانت ثمرة تطور طبيعى طويل ؛ لكن من
العسير بل من المحال أن نتبع الآن أدوار هذا التطور ، نظرا إلى تهدم معابد
العصر الصاوى . إن ظهور أنواع هذه الرؤوس كاملة فى الأسرة الثلاثين فى
معبد Nectanebo II أى فى أواسط القرن الرابع ، ليحملنا على الاعتقاد بأن
تاريخ هذه الرؤوس ، يجب أن يرجع إلى عصر سابق للأسرة الثلاثين ؛ وإذا
ما محصنا جميع الاعتبارات المختلفة ، وجدنا أن العصر الصاوى أنسب وقت
لذلك ، بسبب نهضته الفنية والسلام والرخاء اللذين سادا فيه . وإذا كانت
هذه الرؤوس فى دور التكوين خلال القرن السابع والسادس ق . م . أى

قبل ظهور العامود الاغريقى الكورنثى بمدة طويلة . وإذا ما تذكرنا أصل الأعمدة المصرية المزدانة بالزهور ، وإذا ما عرفنا أن العناصر التى تتكون منها الرؤوس الجديدة مصرية بحته ، فإنه يتضح لنا بطلان الزعم الذى يرى فى الرؤوس الجديدة أثراً للعامود الاغريقى الكورنثى . وإذا كانت ثمة علاقة بين الاثنين ، فإن العكس أقرب إلى الصواب ؛ لأن المصرى كان يزين رؤوس أعمدته بالأزهار قبل عهد الاغريق بالأعمدة ؛ كما أن الحلقات (volute) الجانبية فى الرؤوس الكورنثية ، تحمل شهاً كبيراً للأطراف المتدلية من أوراق زهرة الايريس ، التى كانت رمز مصر العليا والتى كانت تستعمل فى الزخرفة فى مصر منذ الدولة الوسطى .

ابراهيم نصصى

بعض المراجع :

- | | | |
|-----------|---|---|
| Weigall | = | Aguide to the Antiquities of Upper Egypt. |
| Noshy | = | The Arts in Ptolemaic Egypt. |
| Chassinat | = | Le Temple de Dendara. |
| Jequier | = | Les Temples Ptolemaiques et Romains. |

